عروبة عريقة
من المحيط الى الخليج

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

ان من ابرز ما تمتاز به العامية فى جناحي العروبة ما بين المغرب واقطار الخليج العربي ـ وخاصة فى الكويت والبحرين وقطر التي تشرفنا بزيارتها خلال فصل الربيع الماضي بدعوة من حكوماتها الموقرة ـ هي اصالة معظم مصطلحاتها الدارجة بالنسبة للفصحى ولا بدع فالخليج عريق فى العروبة وقد استعمل سترابون Strabon (1) كلمة الخليج العربي فى وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب (2) وكان للعرب الكنعانيين جولات فى هذا الخليج قبل التاريخ الميلادي بالف عام وما زالت آثارهم قائمة الى الآن وتحمل احدى مدن الخليج العتيقة اسم صور اي تير Tyr عاصمة الفينيقيين على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط على نسق المدن التي اسسها الكنعانيون فى الجناح الغربي للعروبة منذ عام 1101 قبل الميلاد بالمغرب الاقصى (ليكسوس Lixus) وتونس (Utique) والاندلس (مالقة وقادس) وهبو Hippo (عنابة وبنزرت) وكانت اللغة البونية langue punique الشبيهة بعامية افريقيا الشمالية (راجع كتابنا معطيات الحضارة المغربية وبحثنا فى « اللسان العربي » العدد الثاني ص 34 عام 1965 حيث نشرنا رسما كشف فى البرازيل عن حجارة مكتوبة بالعربية البونية تحمل تاريخ 125 ق.م) قد سادت كثيرا من الاقاليم العربية التي استوطنها الكنعانيون منذ الالف الثانية قبل الميلاد وهو تاريخ انطلاق حضارتهم وهذه الاقاليم تنتشر من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ويرى ابن خلدون (المقدمة ج 1 ص 58 طبعة مصر 1936) ان ابراهيم الخليل عليه السلام تزوج بعد سارة بقنطورة بنت يقطان الكنعانية فولدت له ستة اولاد منهم يقشان جد البربر الذين انتقلوا من جنوب فلسطين عن طريق مصر حوالي 1300 ق.م. ثم تتابعت الجاليات الكنعانية ولهذا اعتبر الحسن الوزان الفاسي (وهو ليون الافريقي Léon l'Africain) الفينيقيين عنصرا هاما فى سكان افريقيا الاقدمين ، وقد انتقل فوج ثان من الكنعانيين صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق.م. عندما اجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم فوج ثالث ممن اجلوا أيام نبي الله داود عليه السلام عام 1055 ق.م.

ومعلوم ان العرب كانوا يملأون هضاب وبطاح

---

(1) جغرافي اغريقي ولد عام 58 قبل الميلاد وتوفي بين سنتي 21 و 25 ميلادية كتب جغرافية ما زال معظمها موجودا الى الآن ولكن قيمة هذا العالم المؤرخ لم تعرف الا منذ القرن السادس عشر الميلادي

(2) جواد علي فى « تاريخ العرب قبل الاسلام » ج2 ص 380 وكذلك المقدسي البشاري الذي عاش عام 985م استعمل كلمة « بحر العرب » فى تقسيمه للابحر السبعة (كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص 17) .
ويرجع اطلاق المؤرخين الخليج الفارسي على الخليج العربي الى القائد اليوناني نيركس لما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الاكبر لانه لم يمر الا من الساحل الشرقي فقط (كتاب قطر ماضيها وحاضرها لمصطفى مراد الدباغ ص 24) راجع مجلة « الاقلام » التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ج 8 ص 64 السنة الاولى .

جنوب افريقيا فقد كشف الدكتور استانلي تيمبور على مقربة من نهر زمبر في مقاطعة روديسيا آثارا منقوشة عليها رسوم مكتوبة استدل بها على ان العرب قد استثمروا مناجم الذهب التي كان استثمرها اسلافهم عرب اليمن قبل ذلك بعهد طويل ولاحظ صاحب قصة الحضارة (ج 2 ص 43) (3) ان الحضارة ظهرت في بلاد آسيا الغربية وبخاصة في بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة قبل ظهورها في مصر وما بين النهرين ومنها انتشرت في صورة مثلث ثقافي الى سومر وبابل واشور والى مصر (4) وقد تحدث ابن خلدون (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عن عروبة الاطلس المغربي فأشار الى ما اكده المؤرخون والنسابون العرب امثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من ان صنهاجة (سكان الاطلس الاوسط) ومصمودة (الاطلس الكبير) وكتامة (السهول الشمالية والشرقية بالمغرب) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة على هذه الرواية اعرق في العروبة من ربيعة ومضر لانهم من بني افريقش بن قيس بن صيفي الحميري (5) والعامل الجوهري الذي يؤكد تلك الرابطة الموصولة بين عرب افريقيا الشمالية وبين الخليج العربي الى البصرة ؛ ان القوافل التجارية كانت تربط بين بصرة المغرب (6) وبين بصرة المشرق عن طريق الخليج العربي مما ضاعف الاتصال والتبادل الفكري واللغوي بين هاته المراكز وان هذا الاثر العربي ربما وصل الى بابل وخوزستان منذ ما قبل الميلاد اذا صدقنا الراي القائل بأن قانون حمورابي عربي وان العربية كانت لها جولات في هذه الاصقاع فلفظ الحوز مثلا يطلق في المغرب على ناحية مراكش اي الاقليم المحيط بها والاهواز — كما جاء في معجم البلدان — جمع هوز واصله حوز لانه ليس في كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد في محمد .. وعلى هذا يكون الاهواز اسما عربيا سمي به في الاسلام وكان اسمها في ايام الفرس خوزستان واصل الحوز في كلام العرب من الحيازة اي الحصول والملك وقد نص سالوست Salluste (7) على ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على ايبيريا (اي اسبانيا) في عهد هيروكولس Heraclès (هيركول اللاتيني الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الاقصى) قد تحولت اشرعتهم بالريح الى المحيط الاطلنطيكي فوصلوا الى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيتول Getules (وهم جزولة على مايظهر) فتصاهروا معهم وسميت سوس او سوسة (8) باسم سوسانة Susiane (او ارض عيلام Elam) بالاهواز وقد اشتهر الفرس بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم واطلق على سكان الجزائر وقسم من تونس (اي نوميديا الشرقية وعاصمتها قرطاج) .

وهكذا نرى ان الوصلة موثوقة بين عاميتي المغرب العربي والخليج العربي قبل الاسلام بأزيد من الف عام بفضل بني كنعان وبني قحطان من حميريي اليمن .

وهاكم امثلة عن مظاهر الوحدة والاختلاف بين هذه اللهجات العربية (راجع قسم المعاجم) .

---

(3) نقلا عن : Child, Ancient East, p. 216

(4) مما يدل على عروبة مصر كما قيل وجود اسماء عربية لملك مصر في عهد يوسف عليه السلام هو الريان بن الوليد الذي خلفه قابوس بن مصعب ابن معاوية (الكامل لابن الاثير ج1 ص72 طبعة1348)

(5) ذكر القلقشندي في صبح الاعشى (ج1 ص321) ان افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام الى المغرب كما رجحه ابن خلدون وان اكثر الاقوال جانحة الى ان البربر عرب وان لم يتحقق من اي عرب هم وقد انكر عروبتهم ابو عمرو بن عبد البر وابن حزم وابن خلدون الذي نقل عن جمهرة ابن حزم (التاريخ ج 6 ص 96) انه ما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر ان ابن خلدون اغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم وصحراء السودان والتشاد فالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى نهر النيجر الى مراكش تلك الطريق التي حكى الحسن الوزان انه سلكها مع القوافل التجارية في اواخر القرن العاشر الهجري فرارا من قراصنة طريق سواحل البحر الابيض المتوسط ومعلوم ان سجلماسة كانت مركزا تجاريا تتوارد عليه قوافل البصرة والكوفة وبغداد .

(6) التي تقع بالقرب من القصر الكبير بشمال المغرب والتي هدمها ابو الفتوح عام 368هـ وكانت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان (البيان المعرب لابن عذارى ج 1 ص 330) .

(7) مؤرخ روماني 35—86 ق.م. في كتابه Guerre de Jugurtha (يوغورطا هو ملك نوميديا ولد عام 154 ق.م. وهو ابن اخ Micipsa نجل ماسينيا امير البربر . .

(8) ولعل اسم مدينة سوسة التونسية يرجع لنفس المصدر اذا صحت الرواية .